

فإنك تحس بصوت الشاعرين الكبيرين، وتشعر أن الشاعر ينقل عنهما، وهو تارة يرتفع في هذا النقل فيحكمه ويزيد فيه لوناً من ألوان الابتكار، وتارة يصيبه العجز عن التحليق في أجوائهما، فيسفّ، ولكن في نفس المحيط أو في نفس الأفق، من كثرة الصور وحشدها ومحاولة التفوق من حين إلى حين.

وقد نعجب الآن من شيوع هذا الذوق من التصوير بين شعراء الأندلس، ولكن القوم اصطلحوا عليه واتخذوه آية البراعة الفنية. وعمّ هذا الذوق بين الشعراء هناك بحيث يحس الإنسان بغير قليل من التكلف دائماً في كل ما ينظمون، فهم لا يطلقون أنفسهم على سجيتهما، وهم لا يعيرون شعرهم فسحة من التعبير الوجداني على نحو ما نعرف عند كثير من شعراء مصر أمثال ابن الكيزاني وابن سناء الملك والبهاء زهير.

وكان الشعر الأندلسي كله - إذا استثنينا ابن زيدون - نُظم ليرضى العين الباصرة، لا ليرضى الأذن والوجدان، والقياسان قد يتخلفان في الإقليمين لما قلناه من أن الفاصل بين الأقاليم غير صحيح، إنما هذه ملاحظات في جملتها مقيدة بشعراء تصادف أن قرأناهم وإن اشتهرت أسماؤهم بيننا.

على كل حال يمتاز شعر ابن هانئ الصغير بازدهام الصور الحسية فيه، فهو في شعره مصور يُعنى بالتشبيهات والأخيلة، وما يزال يصوغ شعره في هذا المجال الفني، وكأنه عاهد نفسه ألا ينطق ببيت إلا وفيه صورة، حتى الغزل نراه يملؤه بالصور. واستمع إلى قوله في بعض صواحيبه:

حُجبت في نورها وجنتها	فرايت الشمس للشمس حجبا
وجنة حمراء تندى عرقاً	مثلما رقرقت ألواحاً حجبا
نفخت ریح الصبا جمرتها	فانبرت تُظهرُ في الماء النهابا
وجرى الصدغ على أولها	مثلما طرّزت بالسطر الكتابا